الدرس السادس:

نظريات التعلّم (2): النظرية البيولوجية(الفطرية)

أهداف الدرس:

-التعرف على مفهوم النظرية البيولوجية، وعلى مرجعياتها المعرفية، وأهم المبادئ التي تقوم عليها.

-استنتاج أهم التطبيقات التربوية للنظرية البيولوجية.

الدرس:

مفهوم النظرية: إنّ النظرية البيولوجية-أو الفطرية، أو اللغوية، أو التوليدية-واحدة من النظريات التي جاءت ردّا على النظرية السلوكية التي حصرت التعلم في المثير والاستجابة مغفلة دور العقل في التعلم واكتساب المعارف، وكذا العمليات العقلية المختلفة. وتعود الفضل في التأسيس لهذه النظرية للغوي الأمريكي **نعوم تشومسكي** الذي يرى أنّ: اكتساب اللغة مركوز في الإنسان بالولادة، أي أننا نولد بجهاز داخلي من نوع ما يوجّهنا إلى اكتساب اللغة. أي إلى إدراك اللغة التي حولنا إدراكا منظما، وإلى إنتاجها بعد أن يتمّ استيعابها داخليا".

لقد رفض التوليديون-أي متبني المنهج التوليدي الفطري البيولوجي- ما زعمه السلوكيون من أنّ الإنسان يولد صفحة بيضاء، يقوم المحيط الخارجي بملئها من خلال إكسابه المعارف بواسطة المثير والاستجابة. مؤكّدين أن الإنسان يولد مزودا باستعداد قبلي للاكتساب والتعلم؛ أي الوجود الأولي للأفكار والبنيات المعرفية(Innéisme)؛ أي الاستعداد البيولوجي للاكتساب بواسطة (جهاز الاكتساب) الذي شبّهوه بصندوق صغير.

المرجعيات الفلسفية والمعرفية للنظرية البيولوجية: لقد كان **تشومسكي** في نظريته البيولوجية الفطرية متأثرا بالنزعة العقلية عند ديكارت الذي يرى أن العقل وسيلة المعرفة، واللغة من ميزات البشر، وهم الوحيدون القادرون على تعلمها. كما تأثر بمدرسة بورورايال، التي تقول بوجود تطابق بين البنيات المنطقية، والبنيات اللغوية. أو بصيغة أخرى: إنّ اللغة تعبير منطقي عن الفكر. وانطلاقا من ذلك حاولوا وضع قواعد نحو عالمي ينطبق على جميع اللغات، لأنّها مهما اختلفت تتفق في كونها جميعا خاضعة للقواعد نفسها.

لقد تأثر تشومسكي في نظريته أيضا **بهمبولت** فيما يتعلّق بالإبداع والخلق اللغوي**.** حيث يقدر المتكلم على صياغة عدد لا متناه من التراكيب انطلاقا من نموذج واحد. كما تأثر تشومسكي في تمييزه بين البنية العميقة والبنية السطحية بالبنية الداخلية والبنية الخارجية لهمبولت.

مبادئ النظرية: اهتم رواد النظرية وعلى رأسهم **تشومسكي** و**لينبرغ** بالاكتساب المعرفي وخاصة اللغوي. مؤكدين أنّ تلك المعرفة اللغوية لا تتم إلّا بواسطة العقل المزود بآلية اكتساب بيولوجية. أما عن أهم المبادئ التي تقوم عليها النظرية فهي:

-اكتساب اللغة وفق نموذج فطري: انتقد تشومسكي التوجه السلوكي مؤكدا أن اكتساب المعرفة اللغوية تكون بواسطة نموذج فظري كما ذكرنا، وهو خاصية إنسانية تميز الإنسان من الحيوان وغيره. وكل فرد يولد مزودا بجهاز اكتساب اللغة(LAD) وهو اختصارلـ: (Language Acquisition Device). ويحوي هذا الجهاز قواعد كلية تنطبق على جميع اللغات تخوّل الطفل-والانسان عموما-فهم وتحصيل وصياغة المفردات والجمل.

-الكليات اللغوية: إن كل إنسان يولد مزودا بنعرفة فطرية، وهذه الأخيرة تتكزن من أنماط لغوية ومعرفية مشتركة بين بني البشر، لذا فهم يكتسبون المعرفة واللغة بالطريقة ذاتها. أطلق تشومسكي على هذه المبادئ العامة المشتركة بين جميع اللغات (النحو العام) أو (النحو الكلّي).

-القدرة(الكفاية)/الأداء(الإنجاز): (competence/performance):

القدرة: وهي-كما عرّفها ميشال زكريا-"معرفة الإنسان الضمنية باللغة، أو بالأحرى معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم". أي التي تمكّنه من فهم الجمل وإنتاجها، حتى التي لم يسبق له سماعها، وكذا تمييز الصحيحة من الخاطئة منها.

-الأداء: وهو الإنجاز أو التطبيق للقدرة-أو الكفاية اللغوية-بإخراجها من الحيّز النظري إلى الحيّز التطبيقي.

-الإبداعية: لقد استمدّ تشومسكي فكرة الإبداعية من همبولت كما سبق وبيّنا، وهي التي تميز الإنسان من الحيوان. كما أنّ الإبداعية هي التي تسمح للإنسان بإنتاج عدد لا نهائي من الجمل لم يسمعها من قبل وتكون صحيحة وفق قواعد اللغة المستعملة.

مصادر الدرس ومراجعه:

-أسس تعلّم اللغة العربية وتعلمها، دوغلاس براون، ترجمة عبده الراجحي.

-مطبوعة بيداغوجية في اللسانيات التطبيقية، نجوى فيران.
-اللسانيات التوليدية، مصطفى غلفان.
-الألسنية التوليدية التحويلية، ميشال زكريا.